صفة الغيرة لله تعالى
دراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

إعداد

أ.د/ محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، الأحد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولمن يكن له كفوا أحد، وصلى اللّه على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن الاشتغال بمعرفة أسماء اللّه وصفاته هو اشتغال بأعلى المطالب، وتحقيقه للعبد يعد من أشرف المواهب، كيف لا وهو اشتغال بمعرفة اللّه سبحانه وتعالى، والاشتغال بذلك هو انقياد لما خلق له العبد؟ فإن "مفتاح دعوة الرسل، وزبدة رسالتهم: معرفة المعبود بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها، من أولها إل آخرها" [(1)].

وإن من صفات اللّه تعالى الثابتة له ـ سبحانه ـ فى عدد من الأحاديث الصحيحة: صفة الغيرة، وقد لفت انتباهى قلة الحديث عنها، والاستدلال لها، وبيان معناها، ومنهج السلف فى ذلك، حتى فى الكتب المؤلفة فى أسماء اللّه وصفاته يندر الحديث عن هذه الصفة العظيمة.

(1) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة 150/1، 151.

ولهذا عقدت العزم على جمع مادة علمية تعنى بصفة الغيرة لله جلا وعلا.

ومما تجدر الإشارة إليه أنى هدفت إلى تأصيل هذه المسألة، والاستدلال لها، وتقريرها، أما موقف المخالفين والرد عليهم، فمع أهميته، فقد أجملت الحديث فيه، لاسيما موقف المعطلة، لأنه يدور حول نفى هذه الصفة والقول بأنها مجار، ودرست موقف الصوفية، لكثر لغطهم وغلطهم فيها.

وسبب إجمالى فى ذكر المخالفين: أنى رأيت أن هذا هو المناسب فى بحث مختصر أزمع نشره ليكون فى متناول الأيدى، فتقرير الصفة والاستدلا ل لها، أولى وآكد من طرح شبه القوم والخوض فيها.

وقد اخترت أن يكون عنوان هذا البحث: "صفة الغيرة لله تعالى دراسة فى ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة".

هذا وقد قسمت الموضوع إلى: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

فالمقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره إجمالا ً، وخطة إعداده.

والتمهيد: ذكرت فيه مذهب السلف فى صفات

الله تعالى، إجمالا ً.

أما المبحث الأول: فأكتب فيه تعريف الغيرة لغة واصطلاحاً.

وأما المبحث الثانى: فأذكر فيه أدلة ثبوت صفة الغير لله تعالى، وأقوال بعض أهل العلم فى ذلك، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: أدلة ثوت صفة الغير لله تعالى.

المطلب الثانى: أقوال بعض أهل العلم فى تقرير صفة الغيرة.

وأما المبحث الثالث: فأكتب فيه أنواع الغيرة وأقسام الناس فيها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أنواع الغيرة.

المطلب الثانى: أقسام الناس فى الغيرة.

وأما المبحث الرابع: فأذكر فيه مواقف المخالفين فى الغيرة، إجمالا ً، ونقدها وفيه مطلبان.

المطلب الأول: موقف المعطلة، ونقده.

المطلب الثانى: موقف الصوفية، ونقده.

وأما الخاتمة. فأكتب فيها خلاصة البحث وأهم

نتائجه.

ثم أذكر قائمة بأهم المصادر والمراجع التى أفدت منها.

أسأل الله إخلاص النية وصلاح العمل.

التمهيد
مذهب السلف في صفات الله تعالى

السلف الصالح ملتزمون بمصدرى التلقى: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ، وبخاصة فى باب أسماء الله وصفاته، لأنه لا أحد أعلم بالله جل وعلا من نفسه تعالى، رسوله أعلم الخلق بربه.

ولذا قام مذهب السلف فى صفات الله تعالى على قواعد عظيمة، أهمها ما يلى:

1- أن صفات الله عز وجل توقيفية، فلا يثبت منها إلا ما أثبته الله تعالى لنفسه، أو ما أثبته له رسوله ، ولا ينفى عن الله عز وجل إلا ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ، وكل صفة ثبتت بالنقل الصحيح وافقت العقل الصريح ولابد.

والألفاظ التى لم يرد فيها إثبات ولا نفى فى الكتاب والسنة يتوقف فيها، وأما معانيها فيستفصل عنها، فإن أريد بها معنى باطلا ً وجب تنزيه الله عنها، وردها لفظاً ومعنى، وإن أريد بها معنى حقاً قبل المعنى، ولكن يعبر عنه بالألفاظ الشرعية بدل الألفاظ المجملة[1].

---

(1) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص4، والرسالة التدمرية ص65، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية 3/3، 182/4، 26/5، 299، 38/6، 515، ومختصر

2- أن صفات الله تعالى الثابتة له فى الكتاب و السنة يؤمن بها من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وكذلك نفى الصفات المنفية عنه سبحانه فى الكتاب والسنة، تنفى عن الله تعالى، ويؤمن بتنزيه الله عنها، مع اعتقاد ثبوت كمال ضدها لله تعالى [1].

3- أن صفات الله تعالى معلومة الألفاظ و المعانى، مجهولة الكيفيات، فكل صفة ثابتة فى الكتاب والسنة يؤمن بلفظها الثابت، وبمعناها كما يعرف فى لغة العرب، مع قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية [2].

4- أن صفات الله تعالى الثابتة فى الكتاب و السنة جاءت مفصلة، مثل: السمع والبصر، والغيرة، ونحو ذلك، أما نفى النقص عن الله تعالى فجاء مجملاً [3]، قال تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ

الصواعق المرسلة 141/1، 253.

(1) انظر الرسالة التدمرية ص58، والجواب الصحيح لم بدل دين المسيح 139/3، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية 182/4، 26/5.

(2) انظر: ذم التأويل ص11-27، والرسالة التدمرية ص89-116، ومختصر الصواعق المرسلة 141/1، 253، 332/2، 412، 433 ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص26.

(3) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية 37/6،

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى: 11].

5- صفات الله تعالى كلها كمال، لا نص فيها بوجه من الوجوه [1].

6- أن دلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة تكون:

- إما بالتصريح بها، مثل: الوجه، واليدين، و الرحمة.

- أو تضمن الاسم لها، مثل: البصير متضمن إثبات البصر، والسميع متضمن إثبات السمع.

- أو التصريح بفعل أو وصف دال عليها، مثل: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [طه: 5] دال على إثبات صفة الاستواء، وهكذا [2].

7- أن الكلام في الصفات كالكلام في الذات، فكما أن الله تعالى له ذات لا تماثل الذوات، فكذلك له صفات لا تماثل الصفات، وكما أن إثبات الذات إثبات وجود، لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات [3].

.515

(1) انظر: المصدر السابق 206/5، ومختصر الصواعق المرسلة 232/1، وبدائع الفوائد 168/1.

(2) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص38.

(3) انظر: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة

وأيضاً فإن القول فى بعض الصفات كالقول فى البعض الآخر، فمن آمن ببعض صفات الله كالسمع و البصر والقدرة، مثلا ً، وجب عليه الإيمان ببقية صفات الله الثابتة له، كالمحبة والرضا والغضب و الغيرة، ونحو ذلك [1]، "ومن فرق بين صفة وصفة، مع تساويها فى أسباب الحقيقة والمجاز، كان متناقضاً فى قوله، متهافتاً فى مذهبه، مشابهاً لمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض"[2].

8- أن صفات الله تعالى نوعان:

- صفات ذاتية، متعلقة بذات الله تعالى لا تنفك عنه بحال، مثل الوجه واليدين والأصابع، ونحو ذلك.

- وصفات فعلية، متعلقة بأفعال الله وإرادته ومشيئته، كالنزول والاستواء، ونحو ذلك من صفات الله الفعلية التى لا منتهى لها [3].

هذه هى أهم معالم وقواعد مذهب السلف فى

174/1، والرسالة التدمرية ص43، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية 330/5، 355/6.

(1) انظر: الرسالة التدمرية ص31، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية 212/5.

(2) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية 212/5.

(3) انظر: مختصر الصواعق المرسلة 232/1، والقواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى ص30.

إيمانهم بصفات الله عز وجل، أسأل الله تعالى أن يهدينا إلى صحة المعتقد، وسلامة المنهج، واستقامة العمل على أمره.

المبحث الأول
تعريف الغيرة

الغيرة: مصدر من الفعل غار، تقول غار الرجل على أهله، وغار الرجل على امرأته، والمرأة تغار على زوجها غيرة وغيْرا وغاراً وغِياراً.

ويقال: امرأة غيور، ورجل غيور، هو فعول من الغيرة، وهى: الحمية والأنفة. والمغيار: الشديد الغيرة [(1)].

وهذه الحمية والأنفة مبنية على الإصلاح و المنفعة، وهى أصل معنى كلمة (غير)، يقول ابن فارس (ت 385هـ): "غير: الغين والراء والياء أصلا ن صحيحان، يدل أحدهما على صلاح وإصلاح ومنفعة، والآخر على اختلاف شيئين.

فالأول الغيرة، وهى الميرة، بها صلاح العيال، يقال: غرت أهلى غيرة وغيارا، أى مِرْتهم، وغارهم الله تعالى بالغيث يغيرهم ويغورهم: أى أصلح

(1) انظر: لسان العرب المحيط 1036/2، والنهاية فى غريب الحديث والأثر ص685.

شأنهم ونفعهم، ويقال: ما يغيرك كذا، أى ما ينفعك، ومن هذا الباب الغيرة: غيرة الرجل على أهله، تقول: غرت على أهلى غيرة، وهذا عندنا من الباب، لأنها صلاح ومنفعة" [1].

وقال النووى (ت 676هـ): "قال العلماء: الغيرة بفتح الغين، وأصلها المنع، والرجل غيور على أهله، أى منعهم من التعلق بأجنبى، بنظر أو بحديث، أو غيره"[2]، ولا شك أن الغاية من هذا المنع المنفعة و المصلحة للمانع والممنوع.

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ): أن "الغيرة إما من تغير الغائر، وإما من مزاحمة الغير"[3].

وقال ابن حجر (ت 852هـ): "الغيرة، بفتح الغين المعجمة، وهى فى اللغة تغير يحصل من الحمية والأنفة، وأصلها فى الزوجين والأهلين"[4].

وقال ابن القيم (ت 756هـ): "والغيرة، نوعان: غيرة من الشىء، وغيرة على الشىء، والغيرة من

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة ص779.
(2) شرح النووى على صحيح مسلم 132/10، وانظر 67/17، 77.
(3) الاستقامة 11/2.
(4) فتح البارى شرح صحيح البخارى 530/2، 531، وانظر 320/9، وشرح النووى على صحيح مسلم 77/17.

الشىء هى: كراهة مزاحمته ومشاركته لك فى محبوبك.

والغيرة على الشىء هى: شدة حرصك على المحبوب أن يفوز به غيرك دونك، أو يشاركك فى الفوز به" [1]، بل قد توسع المتأخرون فى اصطلاح الغيرة، حتى أدخلوا فيه أموراً كثيرة، لعل من أشهرها: الغيرة المتضمنة للمنافسة والحسد، مثل أن يغار أحدهم إذا رأى أحداً سبقه إلى الحق، أو نال منه نصيباً وافراً، ونحو ذلك [2].

هذا هو تعريف الغيرة فى أصل اللغة، وفى اصطلاح بعض الناس، بناء على ما فهمه من أصل الكلمة.

أما الغيرة فى الاصطلاح الشرعى فهى: الحمية والأنفة الناهية عن انتهاك محارم اللّه وإتيان الفواحش، وصيانة الأمة ودينها من ذلك، وهى الغيرة فى ريبة [3].

وهناك غيرة خاصة بالعبد، وهى حميته وأنفته ومنعه من مشاركة الغير فى أهله [4].

---

(1) ومدارج السالكين 43/3 وانظر الفوائد ص33.
(2) انظر: الاستقامة 39/2، 41، 65.
(3) انظر المصدر السابق7/2، 8، 9، 64.
(4) انظر المصدر السابق 7/2.

وسيأتى بعد ذلك ذكر معنى صفة الغيرة التى هى إحدى صفات اللّٰه تعالى.

المبحث الثاني
أدلة ثبوت صفة الغيرة لله تعالى وأقوال العلماء في ذلك

المطلب الأول: أدلة ثبوت صفة الغيرة لله تعالى:

الغيرة صفة من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى، تليق بجلاله وعظمته، نؤمن بها لفظاً ومعنى، وأنها لا تشبه صفة الغيرة للمخلوقين من أى وجه من الوجوه.

وقد دل على ثبوتها أحاديث صحيحة صريحة من قول الرسول ، ومن ذلك ما يلى:

1- عقد البخارى فى صحيحه باباً بعنوان: "باب قول النبى : «لا شخص أغير من الله»، ثم ساق بسنده حديثاً إلى سعد بن عبادة أنه قال: لو رأيت رجلا ً مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح[1]، فبلغ ذلك رسول الله فقال: **«أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه، والله أغير منى، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل**

---

(1) من صفح السيف أى عرضه وجانبه، وأراد أنه يضربه بحده لا بعرضه، انظر فتح البارى 321/9، وصحيح مسلم بشرح النووى 131/10.

ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة»[1].

قال عبد الله الغنيمان: "ومقصد البخارى أن هذين الاسمين (الشخص والغيرة) يطلقان على الله تعالى وصفاً له، لأن الرسول أثبتهما لله، وهو أعلم الخلق بالله تعالى"[2].

2- وعقد البخارى أيضاً فى صحيحه فى كتاب آخر باباً هكذا: "باب الغيرة، وقال وراد عن المغيرة، قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلا ً مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح، فقال النبى : «أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغير منى»[3]! ثم ساق تحت هذا الباب أحاديث، غير السابق، منها:

3- ما أخرجه بسنده عن عبد الله بن مسعود ، عن النبى أنه قال: «ما من أحد أغير من الله، من

---

(1) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول النبى «لا شخص أغير من الله» ح7416، ومسلم، كتاب اللعان، ح 1499.

(2) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى 335/1.

(3) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب النكاح، باب 107، وكتاب الحدود، باب من رأى مع امرأته رجلا ً فقتله، ح6846، وكتاب التوحيد، باب قول النبى «لا شخص أغير من الله»، ح7416 وأخرجه مسلم، كتاب اللعان، ح1499.

أجل ذلك حرم الفواحش، وما أحد أحب إليه المدح من اللّه»، وفى لفظ: «ما أحد أغير من اللّه، ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن...»[1].

4- وما أخرجه بسنده عن عائشة ـ رضى اللّه عنها ـ أن رسول اللّه قال: «يا أمة محمد، ما أحد أغير من اللّه أن يزنى عبده أو تزنى أمته، يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[2].

5- وما أخرجه بسنده عن أبى سلمة أن عروة بن الزبير حدثه عن أمه أسماء ـ رضى اللّه عنها ـ أنها سمعت رسول اللّه يقول: «لا شىء أغير من اللّه»[3].

6- وما أخرجه بسنده عن أبى هريرة عن

---

(1) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب النكاح، باب الغيرة، ح 5220، وأخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب غيرة اللّه تعالى وتحريم الفواحش، ح2760.

(2) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب النكاح، باب الغيرة، ح 5221، وفى كتاب الكسوف، باب الصدقة فى الكسوف، ح 1044، وفى كتاب التوحيد، باب قول اللّه تعالى: وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، ح7403.

(3) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب النكاح، باب الغيرة، ح 5222، ومسلم كتاب التوبة، باب غير اللّه تعالى وتحريم الفواحش، ح2762.

النبى أنه قال: «إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله»[1].

7- عقد الإمام مسلم (ت 261هـ) باباً فى صحيحه بعنوان: "باب غيرة الله تعالى، وتحريم الفواحش"، وساق تحته ثلاثة أحاديث، هى: حديثا عبد الله بن مسعود، وأسماء بنت أبى بكر، سابقا الذكر، بألفاظ مقاربة لما أخرجه البخارى [2]، وحديث أبى هريرة قال: قال سعد بن عبادة: يا رسول الله! لو وجدت مع أهلى رجلا ً لم أمسه حتى آتى بأربعة شهداء؟ قال رسول الله : «نعم»، قال: كلا والذى بعثك بالحق، إن كنت لأعاجله بـ السيف قبل ذلك، قال رسول الله : «اسمعوا إلى ما يقول سيدكم، إنه لغيور، وأنا أغير منه، والله أغير منى»[3].

وذكر ابن القيم أن الغيرة منزلة من منازل إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة: 5]، ثم

---

(1) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب النكاح، باب الغيرة، ح 5223، ومسلم كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، ح2761.

(2) صحيح مسلم كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش الأحاديث 2760-2762، وسبق تخريجها مفصلة قبل قليل.

(3) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب اللعان، ح1498.

استدل عليها بآيتين من القرآن الكريم، ذكر الأولى، وهى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ﴾ [الأعراف: 33]، وأتبع هذه الآية بذكر ثلاثة أحاديث صحيحة فى إثبات صفة الغيرة.

ثم ذكر الآية الثانية فقال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45][1]، ووجه ذلك أن الله تعالى لم يجعل الكفار أهلاً لفهم كلامه، ولا أهلاً لمعرفته وتوحيده ومحبته، فجعل بينهم وبين رسوله وكلامه وتوحيده حجاباً مستوراً، غيرة عليه أن يناله من ليس أهلاً له [2].

وابن كثير (ت 774هـ) ـ رحمه الله ـ ذكر الآية السابقة من سورة الأعراف، واستدل عليها بحديث عبد الله بن مسعود، الذى فيه صفة الغيرة، وهو قوله ﷺ: «لا أحد أغير من الله، فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله...»[3]، كما أنه رحمه الله ذكر

(1) انظر: مدارج السالكين 42/3، 43.
(2) انظر: المصدر السابق 43/3.
(3) رواه البخارى، كتاب تفسير القرآن، باب قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾، ح4637، وانظر تفسير القرآن العظيم 1110/2.

هذا الحديث، وحديث قصة سعد بن عبادة، وحديث أبى هريرة، هذه الأحاديث الثلاثة فى الغيرة ذكرها عند تفسيره لقوله تعالى: وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ [الأنعام: 151][(1)].

وقبله البغوى (ت 516هـ) ساق أحد أحاديث الغيرة عند تفسيره للآية السابقة من سورة الأعراف [(2)].

والآية الثانية، التى استدل بها ابن القيم ـ أعنى آية الإسراء ـ استدل بها بعض أهل التصوف أيضاً على الغيرة [(3)].

وقد تعقب استدلالهم بها شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ) ذاكراً أن الغيرة التى ذكرها النبى هى: "غيرة على ما هو من أفعال العبد التى نهى عنها، وأما هذه الغيرة (التى استدلوا بالآية عليها) فهى غيرة على ما هو من فعل الرب، والنبى لم يصف الله بأنه يغار على ما يقدر عليه من الأفعال"[(4)].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم 1080/2.
(2) انظر: معالم التنزيل 157/2.
(3) انظر: الرسالة القشيرية ص255.
(4) الاستقامة 46/2، 47.

المطلب الثانى: بعض أقوال أهل العلم فى صفة الغيرة لله تعالى:

لم يختلف السلف، أهل السنة والجماعة، فى ثبوت صفة الغيرة لله تعالى، والإيمان بها، مع تفويض كيفيتها، ومن أقوالهم فى ذلك:

قال قوام السنة أبو القاسم الأصبهانى (ت 535 هـ) فى بيانه لمذهب أهل السنة فى صفات الله تعالى: "وجميع آيات الصفات التى فى القرآن، والأخبار الصحاح فى الصفات التى نقلها أهل الحديث، واجب على جميع المسلمين أن يؤمنوا بها، وسلموها، ويتركوا السؤال فيه وعنه، لأن السؤال فى غوامضها بدعة... مثل: النفس، والبدن، والسمع ، والبصر، والكلام... وغيرة الله تعالى، وفرحه بتوبة العبد، وغير ذلك مما صح عنه وثبت، فعلى العبد أن يؤمن بجميع ذلك، ولا يؤوله تأويل المخالفين، ولا يمثله تمثيل الممثلين، ولا يزيد فيه، ولا ينقص عنه، ولا يفسر منه إلا ما فسره السلف، ويمره على ما أمروا، ويقف حيث وقفوا، لا يقول: كيف، ولم؟ يقبل ما قبلوه، ولا يتصرف فيه تصرف المعتزلة والجهمية، هذا مذهب أهل السنة، وما وراء ذلك بدعة وفتنة، ثبتنا الله على الطريقة

المستقيمة بمنه وفضله"[1].

وقال أبو يعلى الفراء (ت 458هـ)، بعد أن ذكر حديثين فى الغيرة: "اعلم أن الكلام فى هذا الخبر فى فصلين:

أحدهما: إطلاق صفة الغيرة عليه.

والثانى: فى إطلاق الشخص.

أما الغيرة، فغير ممتنع إطلاقها عليه سبحانه، لأ نه ليس فى ذلك ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأن الغيرة هى الكراهية للشىء وذلك جائز فى صفاته، قال تعالى: وَلَكِنْ كرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ [التوبة: 46]"[2].

ولعل مراده رحمه الله أن مما تتضمنه الغيرة لشىء كراهته.

فالغيرة ليست هى البغض والكراهة، بل مما تتضمنه الغيرة البغض والكراهة، يقول ابن القيم (ت 751هـ): "وجمع فى الحديث بين ما يحبه ويبغضه، فإنه قال فيه: «**لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن،**

---

(1) انظر: الحجة فى بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة 468-470/2.
(2) إبطال التأويلات 165/1.

وما أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه»، فإن الغيرة تتضمن البغض والكراهة، فأخبر أنه لا أحد أغير منه، وأن من غيرته حرم الفواحش، ولا أحد أحب إليه المدحة منه"[1].

وبعد ذلك ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ) حديث ابن مسعود فى الغيرة: «ما أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، وما أحد أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه»، وفى رواية: «وليس أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل»[2]، بعد أن ذكر هذا الحديث قال رحمه الله: "جمع النبى فى هذا الحديث بين وصفه سبحانه بأكمل المحبة للممادح، وأكمل البغض للمحارم"[3].

ثم قال - بعد أن ساق جملة من الأحاديث فى الغيرة -: "فالغيرة المحبوبة هى ما وافقت غيرة الله تعالى، وهذه الغيرة هى أن تنتهك محارم الله، وهى أن تؤتى الفواحش الباطنة والظاهرة"[4].

---

(1) الصواعق المرسلة 1497/4.
(2) هذه الرواية أوردها مسلم فى صحيحه، كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى...، ح2760.
(3) الاستقامة 3/2.
(4) الاستقامة 7/2.

ثم قال ـ رحمه الله ـ مبيناً معنى "غيرة الله تعالى": "وغيرة الله أن يأتى العبد ما حرم عليه، وغيرته أن يزنى عبده أو تزنى أمته... الغيرة التى وصف الله بها نفسه إما خاصة: وهى أن يأتى المؤمن ما حرم عليه، وإما عامة: وهى غيرته من الفواحش، ما ظهر منها وما بطن"[1].

والنصوص الدالة على ثبوت صفة الغيرة لله تعالى، تدل على أن معنى تلك الصفة لله جل وعلا: غيرته أن يأتى المؤمن ما حرم عليه، وغيرته أن يزنى عبده أو تزنى أمته، ومن غيرته أن حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهذه الغيرة أخص من مطلق البغض والمقت والسخط [2].

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ) عن أبى الحسن محمد بن عبد الملك الكرجى الشافعى، مقرراً قوله بأن من صفات الله الثابتة له عز وجل: "الغيرة، الكراهة، والسخط"، هذا هو الشاهد: ذكره صفة الغيرة لله جل وعلا، وإلا فقد عدد صفات كثيرة [3].

(1) المصدر السابق 9/2، 11.
(2) انظر: المصدر السابق 13/2.
(3) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 181/4، وانظر قاعدة فى المحبة ص275، 276.

ويقرر شيخ الإسلام صفة الغيرة لله تعالى فى موضع آخر، فيقول: "يذم من لا غيرة له على الفواحش كالديوث، ويذم من لا حمية له يدفع بها الظلم عن المظلومين، ويمدح الذى له غيرة يدفع بها الفواحش، وحمية يدفع بها الظلم، ويعلم أن هذا أكمل من ذلك.

ولهذا وصف النبى الرب بالأكملية فى ذلك، فقال فى الحديث الصحيح: «**لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن**»[1]، وقال: «**أتعجبون من غيرة سعد؟ أنا أغير منه، والله أغير منى**»[2].

هذا هو معنى غيرة الله تعالى، فإن قيل: هل يدخل كل ذنب فى ما يغار الله منه، سواء أكان ترك واجب أو فعل محرم؟

فإنه يقال: "هذا المعنى حسن موافق للشريعة، فإن الله يبغض ذلك ويمقته، فيكون لفظ الغيرة مرادفاً للفظ البغض والمقت والسخط، لكن هو أعم مما يظهر فى عرف الشارع، حيث جعل غيرته أن يأتى المؤمن ما حرم عليه، وجعل غيرته أن يزنى

(1) سبق تخريجه.
(2) سبق تخريجه، وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى 119/6، 120.

عبده أو تزنى أمته، ومن غيرته أن حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وهذه الغيرة أخص من مطلق البغض، إلا أن يقال ترك للشريعة، وأما تسميته غيرة فهو أمر اصطلاحى، والنزاع فيه لفظى"[1].

ومما يجب التنبيه عليه أن: "غيرة الله تعالى من جنس صفاته التى يختص بها، فهى ليست مماثلة لغيرة المخلوق، بل هى صفة تليق بعظمته، مثل الغضب والرضا، ونحو ذلك من خصائصه التى لا يشاركه الخلق فيها"[2].

والضابط فى ذلك أنه إذا صح الدليل من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ، وجب اعتقاده والعمل به والقول بموجبه، سواء أكان فى مسائل الاعتقاد، أو فى العبادات أو فى المعاملات، وقد صح الدليل وثبت فى وصف الله تعالى بأنه يغار، فوجب إثبات هذه الصفة لله تعالى.

يقول عبد العزيز بن باز فى تعليقه على كلام لا بن حجر: "المحال عليه سبحانه وتعالى وصفه بـ الغيرة المشابهة لغيرة المخلوق، وأما الغيرة اللائقة بجلاله سبحانه وتعالى فلا يستحيل وصفه بها، كما

(1) الاستقامة 13/2، وانظر منهاج السنة النبوية 61/3.
(2) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى 335/1.

دل عليه هذا الحديث، وما جاء فى معناه، فهو سبحانه يوصف بالغيرة عند أهل السنة على وجه لا يماثل فيه المخلوقين، ولا يعلم كنهها وكيفيتها إلا هو سبحانه، كالقول فى الاستواء والنزول والرضا والغضب، وغير ذلك من صفاته سبحانه، والله أعلم"[1].

وقد أحسن النووى (ت 676هـ) ـ رحمه الله ـ حين قال: "والغيرة صفة كمال"[2]، إلا أنه أخطأ فى تفسيره لمعنى غيرة الله تعالى حين قال: "أخبر أن سعداً غيور، وأنه أغير منه، وأن الله أغير منه، وأنه من أجل ذلك حرم الفواحش، فهذا تفسير لمعنى غيرة الله تعالى: أى أنها منعه سبحانه وتعالى الناس من الفواحش"[3]، وقال فى موضع آخر: "غيرته منعه وتحريمه" [4].

فهذا تعريف ناقص، إذ "ليس هذا هو غيرة الله تعالى، ولكنه من مقتضى الغيرة، كما يوضحه قوله: "ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش"، فبين أن تحريم الفواحش، والمنع منها ليس هو الغيرة،

(1) تعليق ابن باز على فتح البارى 531/2.
(2) شرح النووى على صحيح مسلم 132/10.
(3) شرح النووى على صحيح مسلم 132/10.
(4) المصدر السابق 76/17، 77.

وإنما هو من آثارها"[1].

المبحث الثالث
أنواع الغيرة وأقسام الناس فيها

المطلب الأول: أنواع الغيرة:

يذكر بعض أهل العلم أن الغيرة أنواع: غير محمودة، وغير مذمومة، وهناك نوع ثالث يأتى ذكره بعد النوعين.

أما النوع الأول: فهو الغيرة المحمودة، وهى ما وافقت غيرة اللّٰه تعالى، وهى أن يغار إذا انتهكت محارم اللّٰه، وإذا أوتيت الفواحش الباطنة و الظاهرة.

ومن هذا النوع: غيرة العبد الخاصة، وهى أن يشركه الغير فى أهله، فغيرته من فاحشة أهله ليست كغيرته من زنا الغير، لأن هذا يتعلق به، وذلك لا يتعلق به، إلا من وجهة بغضه لبغض اللّٰه له، ولهذا كانت الغيرة الواجبة عليه هى فى غيرته على أهله، وأعظم ذلك امرأته، ثم أقاربه، ومن هو تحت طاعته، ولهذا كان له إذا زنت أن يلاعنها، لما يصيبه فى ذلك من الضرر، بخلاف ما إذا زنا غير

(1) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى 340/1.

امرأته [1].

فالغيرة المحمودة، إذاً، ما جاءت بها سنة رسول الله ، ومن ذلك الأحاديث التى سبق ذكرها فى مبحث أدلة ثبوت صفة الغير لله تعالى.

ومنها قوله : «إن من الغيرة ما يحبها الله، ومن الغيرة ما يكرهها، فالغيرة التى يحبها الله الغيرة فى الريبة، والغيرة التى يكرها الله الغيرة فى غير ريبة، وإن من الخيلاء ما يحبها الله، ومن الخيلاء ما يبغضها الله، فالخيلاء التى يحبها اختيال نفسه عند الحرب وعند الصدقة، والخيلاء التى يبغضها الله اختيال الرجل فى البغى و الفخر»[2].

وجاء فى الحديث أن رسول الله قال لعمر: «دخلت الجنة فرأيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله، فذكرت غيرتك» فقال عمر بن

(1) الاستقامة 7/2 بتصرف يسير.
(2) أخرجه أبو داود فى سننه، كتاب الجهاد، باب فى الخيلاء فى الحرب، ح2659، والنسائى فى سننه كتاب الزكاة، باب الا ختيال فى الصدقة، وأحمد فى المسند 445/5، 446، و الدامى فى سننه، كتاب النكاح، باب فى الغيرة، ح2232، وابن ماجه فى سننه، كتاب النكاح، باب الغيرة، ح1996، وصححه ا لألبانى فى صحيح سنن ابن ماجه 337/1، ح1623، وفى إرواء الغليل، ح1999.

الخطاب: "يا رسول الله، بأبى وأمى، أو عليك أغار؟"[1].

ومنها أيضاً حديث أسماء ـ رضى الله عنها ـ لما كانت تنقل النوى للزبير ، قالت: فلقيت رسول الله ومعه نفر من الأنصار، فدعانى، ثم قال: «إخ إخ» ، ليحملنى خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس، فعرف رسول الله أنى قد استحييت، فمضى، فجئت الزبير، فقلت: لقينى رسول الله ، وعلى رأسى النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب فاستحييت منه، وذكرت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد على من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إلى أبى أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفينى سياسة الفرس، فكأنما أعتقنى"[2].

من عموم الأحاديث سابقة الذكر فى الغيرة

---

(1) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء فى صفة الجنة، ح3242، وفى كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، ح3680، وكتاب النكاح، باب الغيرة، ح5227، وكتاب التعبير، باب القصر فى المنام، ح7023، وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضى الله عنه، ح2395.

(2) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب النكاح، باب الغيرة، ح 5224، ومسلم، فى صحيحه، كتاب السلام، باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت فى الطريق، ح2182.

نعلم أنه: (لا أحد أغير من الله) وأن: (غيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم عليه)، وهذا يعم جميع المحرمات، ونعلم أيضاً أنه: (من أجل غيرة الله حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن)، وهذا تخصيص لغيرته من الفواحش، كما جاء فى الحديث الآخر: «**لا أحد أغير من الله، وأن يزنى عبده أو تزنى أمته**»، فهذه الغيرة من الفواحش، وعامة ما يطلق من الغيرة، إنما هو من جنس الفواحش [1].

هذا هو النوع الأول من أنواع الغيرة، وهى الغيرة الشرعية الثابتة، وهى الغيرة المحمودة، وقد بين الرسول أنه أغير من غيره من المؤمنين، وأن المؤمن يغار، والله يحب الغيرة، وذلك فى الريبة.

"ومن لا يغار فهو ديوث"[2]، وقد جاء فى الحديث أن: «**ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذى يقر فى أهله الخبث**»[3].

---

(1) انظر: الاستقامة 6/2، 7.

(2) انظر: المصدر السابق ص7.

(3) أخرجه النسائى فى سننه، كتاب الزكاة، باب المنان بما أعطى، وأحمد فى المسند 227/7، 293/8، 42/9، 43، وصححه الألبانى فى صحيح سنن النسائى 215/2، ح2561، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، ح673، 674.

وهذه الغيرة المحمودة، منها ما هو غيرة واجبة ، ومنها ما هو غيرة مستحبة، "فالغيرة الواجبة ما يتضمنه النهى عن المخزى، والغيرة المستحبة ما أوجبت المستحب من الصيانة... فهذه الغيرة التى جاءت بها سنة رسول الله ، وغيرة الله أن يأتى العبد ما حرم عليه، وغيرته أن يزنى عبده، أو تزنى أمته، وغيرة المؤمن أن يفعل ذلك عموماً وخصوصاً فى حقه، والغيرة التى يحبها الله الغيرة فى ريبة"[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإنه سبحانه أمر العباد ونهاهم، فعلى العبد أن يفعل ما أمره به من الغيرة وغيرها، فإذا كان قد أمره بأن يغار لمحارمه إذا انتهكت، وأن ينكر المنكر بما يقدر عليه ، من يده ولسانه وقلبه، فلم يفعل، فإنما هو فاسق عن أمر ربه، وفى الجملة فالغيرة المحمودة: إما ترك ما نهى الله عنه، أو ترك ما لم يأمر الله به، ولا أوجبه، ومن لم يكن فيه أحد الحالين، فهو ممن فسق عن أمر ربه، والثانية حال الكمال الصادقين"[2].

وأما النوع الثانى: فهو الغيرة المذمومة، وهى

(1) الاستقامة 8/2، 9، وانظر كتاب الفوائد ص23، 24.
(2) الاستقامة 37/2، 64.

الغيرة التى لا يحبها الله تعالى: وهى كل غيرة فى غير ريبة، وقد جاء فى الحديث عن رسول الله أنه قال: «**والغيرة التى يكرهها الله الغيرة فى غير ريبة**»[1].

فالغيرة المذمومة، إذاً، هى الغيرة فى غير ريبة، وهى الغيرة فى ما لم يحرمه الله، أو مباح لا ريبة فيه، فهى مما لا يحبه الله تعالى، بل ينهى عنه إذا كان فيه ترك ما أمر الله، ولهذا قال النبى : «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وبيوتهن خير لهن**»[2]، فمن منع إماء الله مساجد الله، غيرة، فغيرته مذمومة، لا محمودة.

فهذا النوع غيرة مذمومة يبغضها الله تعالى، إذ هى غيرة فى غير ريبة [3].

وللغيرة المذمومة صور كثيرة، تختلف درجات ذمها باختلاف مقدار مخالفتها، يأتى ذكر بعضها عند الحديث عن الغيرة عند الصوفية [4].

---

(1) سبق تخريجه ص35.
(2) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم، ح900، ومسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، ح442.
(3) انظر: الاستقامة 8/2، 9، 64.
(4) وانظر: الاستقامة 14/2، 15، 27، وكتاب الفوائد ص23، 24، والرسالة القشيرية ص256-259.

وقد توسع فى مصطلح الغيرة، فدخلت فيه أمور كثيرة، ولهذا فإن "الغيرة الاصطلاحية من مدحها مطلقاً فقد أخطأ، ومن ذمها مطلقاً فقد أخطأ، وهذا يقع كثيراً للسالكين فى هذا الخلق وغيره، فإنه يلبس الحق بالباطل، ولهذا السبب ينكر كثير من الناس مثل هذا الطريق لما فيه من لبس الحق بالباطل، والآخرون يعظمونه لما فيه من الحق، والصواب الفرقان: **وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ** [النور: 40]"[1].

وهناك نوع ثالث: وهو غيرة ليس مأموراً بها، لكنها من أمور الطباع، مثل غيرة النساء بعضهن من بعض، فهذا النوع ليس مأموراً به، وإنما هو من طباع الناس، كالحزن على المصائب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ): "وأما غيرة النساء بعضهن من بعض، فتلك ليس مأموراً بها، لكنها من أمور الطباع، كالحزن على المصائب، وفى الصحيحين عن النبى أنه قال: **«كلوا، غارت أمكم»**[2]، لما كسرت القصعة، وقالت

(1) الاستقامة 65/2.
(2) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب النكاح، باب الغيرة، ح 5225.

عائشة: "أولا يغار مثلى على مثلك؟"[1]، «ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة»[2]"[3] وغير ذلك من الأحاديث فى هذا الباب[4].

المطلب الثانى: أقسام الناس فى الغيرة:

انقسم الناس فى الغيرة إلى أربعة أقسام، هى:

القسم الأول: قوم يغارون مما يكرهه الله تعالى ويكرهه رسول الله ، ويحبون ما يحبه الله تعالى ويحبه رسوله ، إذ غيرتهم موافقة لغيرة الله تعالى وغيرة رسوله ، وهؤلاء هم أهل الإيمان.

الثانى: قوم لا يغارون على حرمات الله تعالى بحال، ولا على حرمهم، مثل الدي‍وث والقواد، بنحو ذلك، ومثل أهل الإباحة الذين لا يحرمون ما حرم الله تعالى ورسوله ، ولا يدينون دين الحق،

---

(1) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب المنافقين، باب تحريش الشيطان، ح2815.

(2) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، ح5229، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾... ، ح744، ومسلم فى صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها، ح2435.

(3) الاستقامة 8/2.

(4) انظر مثلا ً: صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب ذب الرجل عن ابنته فى الغيرة والإنصاف، ح5230، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبى ، ح 2449.

ومنهم من يجعل ذلك سلوكاً وطريقاً فى حياته، قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: 28].

الثالث: قوم يغارون على ما حرمه الله تعالى، وعلى ما أمره به، مما هو من نوع الحسد والكره، يجعلون ذلك غيرة، فيكره أحدهم من غيره أموراً يحبها الله ورسوله ، ومنهم من يجعل ذلك طريقاً وديناً، ويجعلون الحسد والصد عن سبيل الله، وبغض ما أحبه الله ورسوله غيرة.

الرابع: قوم يغارون على ما أمر الله به، دون ما حرمه، فنراهم فى الفواحش لا يبغضونها، ولا يكرهونها، بل يبغضون الصلوات والعبادات، كما قال تعالى فيهم: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59][1].

المبحث الرابع
مواقف المخالفين في الغيرة، ونقدها

المطلب الأول: موقف المعطلة من الغيرة،

---

(1) انظر: الاستقامة 2/9، 10 بتصرف يسير.

ونقده:

نفت المعطلة صفة الغيرة عن الله تعالى، زاعمين تنزيه الله سبحانه وتعالى عن مشابهة خلقه، وقالوا بأن الله يوصف بالغيرة مجازاً، وفسرها بعضهم ببعض ما يتضمنه معنى الغيرة، وهو الكراهة والبغض والسخط، وفسرها بعضهم بـ المنع، وقالوا: إن الغيرة هى انفعال نفسى، وهذا من صفات المخلوقين، فإثباتها لله تعالى يقتضى مشابهة الله بخلقه. وللنفاة فى ذلك كلام كثير [1].

فيقال: ليس مجرد الغيرة هو الانفعال النفسى، وإنما الانفعال النفسى قد يقارن الغيرة، كما أن الغضب يقارن غليان الدم، والحياء يقارن حمرة الوجه، والوجل يقارن صفرة الوجه، لا أنه هو.

ثم إنه لو قدر أن الانفعال النفسى هو حقيقة الغيرة، لم يلزم أن تكون صفة الغيرة لله تعالى مثل غيرتنا، "كما أن حقيقة ذات الله ليست مثل ذاتنا، فليس هو مماثلا ً لنا، لا لذاتنا، ولا أرواحنا، وصفاته كذاته، ونحن نعلم بالاضطرار أنا إذا قدرنا موجودين: أحدهما عنده قوة يدفع بها الفساد، والآ

(1) انظر شرح النووى على صحيح مسلم 132/10، 76/17، 77، وفتح البارى شرح صحيح البخارى 531/2، 320/9، 321، 384/13، 385، 399.

آخر لا فرق عنده بين الصلاح والفساد، كان الذى عنده تلك القوة أكمل"، ولهذا يذم من لا غيرة له على الفواحش، كالديوث، ويمدح الذى له غيرة يدفع بها الفواحش، ولهذا وصف النبى الرب بالأ كملية فى ذلك فأثبت صفة الغيرة، وقول القائل: إن هذه انفعالات نفسية يقال له: كل ما سوى الله مخلوق منفعل، ونحن وذواتنا منفعلة، فكونها انفعا لات فينا لغيرنا نعجز عن دفعها لا يوجب أن يكون الله منفعلا ً لها عاجزاً عن دفعها، وكان كل ما يجرى فى الوجود فإنه بمشيئته وقدرته، لا يكون إ لا ما يشاء، ولا يشاء إلا ما يكون، له الملك وله الحمد [1].

يقول ابن القيم: "والغيرة عند المعطلة النفاة من الكيفيات النفسية، كالحياة والفرح والغضب و السخط والمقت والكراهة، فيستحيل وصفه عندهم بذلك.

ومعلوم أن هذه الصفات من صفات الكمال المحمودة عقلا ً وشرعاً وعرفاً وفطرة، وأضدادها مذمومة عقلا ً وشرعاً وعرفاً وفطرة، فإن الذى لا يغار، بل تستوى عنده الفاحشة وتركها، ومذموم

(1) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 119/6، 121.

غاية الذم، مستحق للذم القبيح"[1].

وقوله : «**ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن**»، لا يفهم منه أن الغيرة هى المنع فقط كما تقول المعطلة[2]، وإنما المراد أنه من أثر غيرة الله تعالى منع عباده من ارتكاب الفواحش، وهى ما عظم وفحش فى النفوس الزاكية والعقول السليمة، مثل الزنا، والظاهر يشمل ما فعل علناً، وما باشرته الجوارح وإن كان سراً، و الباطن يشمل ما فى السر، وما انطوت عليه القلوب [3].

ثم يقال للمعطلة: إذا كان الله - سبحانه وتعالى عما يقول الجاهلون به علواً كبيراً - لا يفرح ولا يرضى بمدحه وحمده والثناء عليه، ولا يغار ولا يسخط ولا يغضب ويبغض ما قال فيه أعداؤه، وإتيان ما حرم، بل نسبة الأمرين إلى ذاته وصفاته بنسبة واحدة، إذ لو حصل فيه سبحانه فرح ورضا ومحبة من ذلك، وغيرة وسخط وكراهة من هذا، للحقته الكيفيات النفسية، كان لا فرق عنده تعالى

---

(1) الصواعق المرسلة، 1497/4.
(2) انظر شرح النووى على صحيح مسلم 76/17، 77، 132/10، وفتح البارى شرح صحيح البخارى 531/2.
(3) انظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى 341/1.

بين الحسن والقبيح والمدح والذم، وهذا فى غاية النقص والعيب شرعاً وعقلا ً وفطرة وعادة، ومن كلام الشافعى (ت 204هـ) "من استرضى ولم يرض فهو جبار، ومن استغضب ولم يغضب فهو حمار"[1]، وهذا يدل على موت القلب، وبطلان الحس، وفقد الحياة، ولهذا كان أكمل الناس حياة أشدهم حياء، وكان رسول الله أشد حياء من العذراء فى خدرها، لكمال حياة قلبه، والله سبحانه الحى القيوم، وقد وصف نفسه بالحياء، ووصفه رسوله، فهو الحيى الكريم، كما قال النبى : «**إن الله حيى كريم يستحى من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا**»[2].

والحياء عند هؤلاء المعطلة من الكيفيات النفسية، فل يجوز وصفه الله تعالى به.

والمقصود أنه كلما كانت صفات الكمال فى الحى، كان فرحه ومحبته ورضاه وغيرته وغضبه

---

(1) ذكره أبو نعيم فى الحلية 143/9، وابن القيم فى الصواعق المرسلة 1498/4.

(2) أخرجه الترمذى فى سننه، كتاب الدعوات، ح3556، وقال: هذا حديث حسن غريب، وأبو داود، أبواب الوتر، باب الدعاء، ح1474، الحاكم فى المستدرك 497/1 وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وسكت عنه الذهبى، وصححه الأ لبانى فى صحيح سنن الترمذى 463/3، ح3556، وصحيح سنن ابن ماجة، ح3865.

ومقته أكمل، وإذا كانت هذه صفات كمال فلا يجوز سلبها عن من هو أحق بالكمال المطلق من كل أحد بمجرد تسميتها كيفيات نفسية، أو انفعالات نفسية، أو أعراضاً، ونحو ذلك: "فإن هذا من اللبس و التلبيس، وتسمية المعانى الصحيحة الثابتة بالأسماء القبيحة المنفرة، وتلك طريقة للنفاة مألوفة، وسجية معروفة، وإذا عرف هذا تبين أن هؤلاء المعطلة النفاة أضاعوا حق الله الذى يستحقه لنفسه، والذى بعث به رسله وأنزل به كتبه، والذى هو أصل دينه ومنتهى عبادته بما هم متناقضون فيه"[1].

ويقول ابن القيم فى رده على المعطلة دعوى المجاز فى أسماء الله وصفاته: "إن ههنا ألفاظاً تطلق على الخالق والمخلوق... فإن كانت حقائقها ما يفهم من صفات المخلوقين وخصائصهم، وذلك منتف فى حق الله تعالى قطعاً، لزم أن تكون مجازاً فى حقه لا حقيقة، فلا يوصف بشىء من صفات الكمال حقيقة، وتكون أسماؤه الحسنى كلها مجازات، فتكون حقيقة للمخلوق مجازاً للخالق، وهذا من أبطل الأقوال وأعظمها تعطيلا ً، فلا يكون رب العالمين موجوداً حقيقة، ولا حيًّا حقيقة

---

(1) الصواعق المرسلة، 4/1498-1501 بتصرف.

ولا قادراً حقيقة، ولا ملكاً حقيقة، ولا رباً حقيقة، وكفى أصحاب هذه المقالة بها كفراً، فهذا القول لا زم لكل من ادعى المجاز فى شىء من أسماء الرب وأفعاله، لزوماً لا محيص عنه، فإنه إنما فر إلى المجاز لظنه أن حقائق ذلك مما يختص بـ المخلوقين"[1].

ثم قال رحمه الله تعالى: "ولا فرق بين صفة وصفة، وفعل وفعل، فإما أن يقول الجميع مجاز أو الجميع حقيقة، وأما التفريق بين البعض وجعله حقيقة وبين البعض جعله مجازاً، فتحكم محض باطل، فإن زعم هذا المتحكم أن ما جعله مجازاً ما فهم من خصائص المخلوقين، وما جعله حقيقة ليس مفهومه مما يختص بالمخلوقين طولب بـ التفريق بين النفى والإثبات، وقيل له: بأى طريق اهتديت إلى هذا التفريق؟ بالشرع أم بالعقل؟ أم بـ اللغة؟ فأى شرع أو عقل أو لغة أو فعل على أن الا ستواء والوجه واليدين والفرح والضحك والغضب والنزول (ويقال مثل هذا فى صفة الغيرة) حقيقة فى ما يفهم من خصائص المخلوقين، والعلم و القدرة والسمع والبصر والإرادة حقيقة فى ما لا يختص به المخلوق، فإن قال: أنا لا أفهم من الوجه

(1) مختصر الصواعق المرسلة، 35/2، 36.

واليدين والقدم إلا خصائص المخلوق، وأفهم من السمع والبصر والعلم والقدرة ما لا يختص به المخلوق، قيل له: فيم تنفصل عن شريكك فى التعطيل إذا ادعى فى السمع والبصر والعلم مثل ما ادعيته أنت فى الاستواء والوجه واليدين (و الغيرة)؟ ثم يقال لك: هل تفهم مما جعلته حقيقة خصائص المخلوق تارة وخصائص الخالق تارة أو القدر المشترك؟ أو لا تفهم منها إلا خصائص الخالق ؟ فإن قال بالأول كان مكابراً جاهلا ً، وإن قال بـ الثانى قيل له: فهلا جعلت الباب كله باباً واحداً، وفهمت ما جعلته مجازاً خصائص المخلوق تارة و القدر المشترك تارة، فظهر للعقل أنكم متناقضون"[1].

وبعض من يؤمن ببعض صفات الله تعالى ويعطل بعضها الآخر ـ كالغيرة والنزول والاستواء ونحوها ـ يزعم أنه ينفيها ويعطلها لأن هذه الصفات لا تعقل إلا لجسم مركب، والله منزه عن ذلك.

فيقال لهؤلاء النفاة: وكذلك الحياة والإرادة و السمع والبصر والعلم والقدرة والكلام هى من صفات الأجسام، فإنه لا يعقل من يسمع ويبصر ويريد ويعلم ويقدر ويتكلم ويكون حياً إلا الجسم.

(1) مختصر الصواعق المرسلة 36/2.

فإن قالوا: سمعه ليس كسمعنا، وعلمه ليس كعلمنا، وبصره ليس كبصرنا، قيل لهم: كذلك غيرته، واستواؤه، ونزوله، وغضبه، وفرحه، وحبه، وسائر صفاته، "واللذين يؤولون النصوص فى ذلك مخالفون لها ومتناقضون"[1].

يقول الشيخ عبد الله الغنيمان: "وقد تقرر أنه تعالى ليس كمثله شىء فى ذاته، فكذلك فى صفاته وأفعاله، ولكن لابد من الاشتراك فى ألفاظ ا لأسماء التى تضاف إلى الله صفات له، وبين ألفاظ الأسماء التى يوصف بها العباد، لأنه لا يمكن معرفة ما غاب عنا إلا بمعرفة ما شهدناه، فنعتبر بعقولنا الغائب بالشاهد، فلولا أنا نجد من أنفسنا جوعاً وعطشاً، وشبعاً ورياً، وحباً وبغضاً، ولذة وألما، ورضا وسخطا، لم نعرف حقيقة ما نخاطب به إذا وصف لنا ذلك، وأخبرنا به عن غيرنا، ولو لم نعلم ما فى المشاهد من الحياة والقدرة والعلم والكلام، لم نفهم ما نخاطب به من ذلك فى الغائب، فلابد فى ما شهدناه وما غاب عنا من قدر مشترك هو مسمى اللفظ"[2].

ثم يضرب مثلا ً لذلك ـ ولله المثل الأعلى ـ

---

(1) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى 337/1.
(2) المصدر السابق 336/1.

باختلاف معنى صفات المخلوقين، فيقول: "وقد أخبرنا عن نعيم الآخرة وعذابها، مما يؤكل ويشرب، ويفرح ويحزن، وينعم ويؤلم، فلولا معرفتنا بما يشبه ذلك فى الدنيا، لم نفهم ما وعدنا به من ذلك، مع علمنا أن حقائق ما فى الآخرة ليست كحقائق ما فى الدنيا، ولكن بين ما فى الدنيا وما فى الآ خرة مشابهة واشتراك من بعض الوجوه، وبذلك نفهم المراد، فنحب النعيم ونرغب فيه، ونكره المؤلم وننفر عنه، فنعرف معنى العسل واللبن و الحرير والذهب، ونفرق بينهما لما عرفناه من نظريها فى الشاهد، وإن كانت حقائقها فى ما هى عليه لا يعلمها إلا الله تعالى، كما قال جل وعلا: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17].

فإن كان هذا فى صفات المخلوق، فكيف فى صفات الخالق عزّ وجلّ، فإنها أشد مباينة"[1].

المطلب الثانى: موقف الصوفية من الغيرة ونقده:

ضلت طوائف الصوفية مع من ضل فى معنى الغيرة لله تعالى، وقد ذكر ذلك أحدهم بقوله: "إذا

(1) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى 336/1، 337.

وصف الحق سبحانه بالغيرة فمعناه: أنه لا يرضى بمشاركة غيره معه، فيما هو حق له من طاعة عبده"[1].

وهذا مبنى على تعريفهم للغيرة بأنها: "كراهية مشاركة الآخرين"[2].

فالسبب فى هذا الضلال تخبطهم فى معنى لفظ الغيرة، "فإنهم تكلموا فيها بمعان بعضها موافق لعرف الشارع، وبعضها ليس كذلك، وبعضهم حمد منها ما حمده الشارع، وبعضهم حمد منها ما لم يحمده الشارع، بل ذمه"[3].

فهذا التعريف الصوفى مخالف للاصطلاح الشرعى للغيرة، إذ "هو أعم منه من وجه، وأخص منه من وجه:

أما كونه أخص، فإنه يخرج منه الغيرة التى لا يشاركه فيها، مثل غيرة المؤمن أن يزنى أقاربه، أو غيرته أن تنتهك محارم الله، فإن الله يغار من ذلك، والمؤمن موافق لربه، فيحب ما أحب، ويكره ما كره"[4].

---

(1) الرسالة القشيرية ص255.
(2) انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(3) الاستقامة 10/2.
(4) المصدر السابق 11/2، 12.

فالصوفى بنى فهمه لمعنى غيرة الله على تعريفه لمصطلح الغيرة، فقال بأن معنى غيرة الله: "أنه لا يرضى بمشاركة غيره معه، فيما هو حق له من طاعة عبده"[1].

فهذا المفهوم الصوفى للغيرة هو كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ): "أعم مما ذكره النبى من وجه، وأبعد عن مقصود الغيرة التى ذكرها النبى من غيرة الحق سبحانه، فقد فسر غيرته أن يأتى المؤمن ما حرم عليه، وبأن يزنى عبده أو تزنى أمته، وقال: «**من أجل غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**»[2]، فجعل الغيرة مطلقة متعلقة بفعل المحرمات، وجعل عظمها وسلطانها فى إتيان الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، ومن جعلها لنفى لمشاركة فى حقه كان دخول الشرك فى الله فى باب الغيرة عنده أولى من دخول الفواحش، وكان استعمال لفظ الغيرة فى الشرك أولى من استعمال لفظ الغيرة فى الزنا.

وأيضاً إذا جعلناها لنفى المشاركة فى ما هو حق له من طاعة عبده، فقد يدخل فى ذلك ما يفعله العبد من المباحات على غير وجه التقرب،

(1) الرسالة القشيرية ص255.
(2) سبق تخريجه.

فإن هذا لم يفعله لله، ومع هذا فليس من غيرة اللّٰه التى وصف الرسول بها ربه.

وأيضاً فالمشاركة فى ما هو حق له قد يدخل فيه فعل الفواحش والمحرمات، إذا لم يقصد العبد بها طاعة غيره، وإن كان مطيعاً فيها للشيطان، وإنما يدخل فيها ما فعله من الطاعات له ولغيره براً ونحوه"[1].

ثم بين ابن تيمية ـ رحمه اللّٰه ـ أنه قد يقال: إن كل ما كان من ترك واجب أو فعل محرم، ففيه مشاركة الغير معه ما يستحقه من طاعة عبده، وبالتالى يدخل كل ذنب فى ما يغار اللّٰه منه، سواء أكان ترك واجب أو فعل محرم، وهذا المعنى حسن موافق للشريعة، فاللّٰه يبغض ذلك ويمقته، وبهذا يكون لفظ الغيرة مرادفاً للفظ البغض والمقت و السخط، لكنه فى الحقيقة أعم مما يظهر فى عرف الشارع، إذ جعل الشارع غيرة اللّٰه تعالى أن يأتى المؤمن ما حرم عليه، وجعل غيرته أن يزنى عبده أو تزنى أمته، ومن غيرته أن حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهذه الغيرة أخص من مطلق البغض والسخط "إلا أن يقال: ترك الشريعة، وأما

(1) الاستقامة 12/2، 13.

تسميته غيرة فهو أمر اصطلاحى"[1].

فالواجب الوقوف مع النص، فصفات الله تعالى مبناها على الإيمان بما ثبت فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ، وفى ذلك السلامة من الزلل.

ولأهل التصوف كلام كثير، وحكايات عديدة، وأحوال صوفية عدوها من الغيرة الشرعية [2]، وهى ليست كذلك، بل هى مخالفات عقدية، ومفارقات لما جاء فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله .

ومجموع هذه القصص والأحوال الصوفية تظهر فى مذهبين، هما:

"الأول: يتضمن الغيرة مما لا يغار الله منه، بل يحبه.

والثانى: يتضمن ترك الغيرة مما يغار الله منه، ويحب الغيرة منه، ويأمر بذلك.

وكلاهما مذهب مذموم، متضمن إما لترك مأمور يحبه الله، أو لفعل مكروه يكرهه الله"[3].

المذهب الصوفى الأول فى الغيرة، ونقده:

---

(1) انظر: الاستقامة ص13.
(2) انظر: الرسالة القشيرية ص255-259.
(3) الاستقامة 13/2، 14.

المذهب الصوفى الأول هو الذى يتضمن الغيرة مما لا يغار الله منه، بل يحبه: مثل ما يتلفظ به بعض الصوفية من كراهة توبة العاصين، وكراهة عبادة المقصرين، ومن ذلك ما يكرونه عن أحدهم أنه سئل: متى تستريح؟ فقال: إذا لم أر له ذاكراً، ومن ذلك ما يذكرونه عن أحدهم أنه مات له ابن، فجزعت عليه أمه، فقطعت شعرها، فدخل ذلك الصوفى الحمام وحلق شعر لحيته، فكل من أتاه معزياً وسأله عن سبب حلق شعر لحيته يقول له: موافقة لأهلى، فلما سأله بعضهم: لماذا فعلت هذا؟ قال علمت أنهم يعزوننى على الغفلة، ويقولون آجرك الله تعالى، ففديت ذكرهم لله تعالى بالغفلة بلحيتى.

وسمع أحد الصوفية رجلا ً يؤذن فقال: "طعنة وسم الموت"، بينما لما سمع كلباً ينبح قال له: "لبيك وسعديك"، فلما سئل عن ذلك قال: أما المؤذن فكان ذكره لله تعالى على رأس الغفلة، وأما الكلب فقد قال تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [الإسراء: 44]، فنباحه تسبيح لله تعالى [1].

(1) انظر هذه الحكايات والقصص فى الرسالة القشيرية ص256-259.

ومن قصصهم، التى عدوها ـ كذباً وزوراً ـ من الغيرة: ما يروونه عن أحدهم أنه أذن فلما انتهى من الشهادتين قال: لولا أنك أمرتنى ما ذكرت معك غيرك.

ومنها أن رجلا ً سمع رجلا ً يقول: جل الله جلاله، فقال له: أحب أن تجله عن هذا، وكان أحدهم يقول: لا إله إلا الله من داخل القلب، محمد رسول الله من القراط[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ساق هذه القصص الصوفية: "ومثل هذه الكلمات والحكايات لا تصلح أن تذكر للاقتداء، أو سلوك سبيل وطريقة، لما فيها من مخالفة أمر الله ورسوله"[2].

ويذكر ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) أن الصوفية يعدون تلك الحكايات من "الغيرة على الله"، أى غيرة عليه من أهل الغفلة وذكرهم، ثم يقول ـ رحمه الله ـ عن هذا النوع من الغيرة: "وأما الغيرة على الله: فأعظم الجهل وأبطل الباطل، وصاحبها من أعظم الناس جهلا ً، وربما أدت بصاحبها إلى معاداته وهو لا يشعر، وإلى انسلاخه من أصل الدين والإسلام، وربما كان صاحبها شراً

(1) انظر: الرسالة القشيرية ص259.
(2) الاستقامة 15/2.

على السالكين إلى الله من قطاع الطريق، بل هو من قطاع طريق السالكين حقيقة، وأخرج قطع الطريق فى قالب الغيرة، وأين هذا من الغيرة لله التى توجب تعظيم حقوقه، وتصفية أعماله وأحواله لله؟ فالعارف يغار لله، والجاهل يغار على الله، فلا يقال: أنا أغار على الله، ولكن أنا أغار لله"[1].

والحكاية الأولى التى قال فيها أحدهم أنه لا يستريح إلا إذا لم ير لله ذاكراً منكر عظيم، وقول بغيض من أقوال الصوفية وأحوالهم الفاسدة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن نقل القول الصوفى السابق: "وذكر هذا فى الغيرة التى هى من طريق أولياء الله وعباده الصالحين من أعظم المنكرات، ومن القول الذى يبغضه الله ورسوله وأولياؤه من الأولين والآخرين، أيغار المؤمن أن يذكر الله، أو يغار أن تنتهك محارم الله؟! وليس لهذا القول وجه يحمد به"[2].

ثم ذكر ـ رحمه الله تعالى ـ أن قائل ذلك القول الصوفى إن قصد به أن أحداً لا يذكره كما يستحقه ، فالذى يستحقه هو العبادة التى هى حقه على

(1) مدارج السالكين 44/3.
(2) الاستقامة 26/2، 27.

عباده، وهو جل وعلا لا يكلفهم أكثر من طاقتهم، وهذا هو الذى يؤمرون به، ويقبله الله منهم، "وإن قصد أنهم يقصرون فى الواجب، فبعض الواجب خير من تركه كله، وإن كان هذا لضيق فى نفسه، وحرج فى فؤاده، فهذا من الغيرة التى يبغضها الله ورسوله، وهو شر من الحسد"[1].

وبعد أن ذكر ابن تيمية قول هذا الصوفى ودعواه علق ـ رحمه الله ـ على هذه الدعوى بقوله: "وهو من أقبح الشطحات، وذكر الله على الغفلة، وعلى كل حال خير من نسيانه بالكلية، والألسن متى تركت ذكر الله، الذى هو محبوبها اشتغلت بذكر ما يبغضه ويمقت عليه، فأى راحة للعارف فى هذا؟ وهل هو إلا أشق عليه، وأكره إليه؟"[2].

والإنسان مهما كان مقصراً وغافلا ً لا يجوز نهيه عن ذكر الله تعالى بلسانه، وعن ما أظهره من ذكر الله، بل يؤمر بما يكمل ذلك من حقائق القلوب المحمودة، وإن كان ذاكراً لله بلسانه، فأعظم المراتب ذكر الله بالقلب واللسان، ثم ذكر الله بـ القلب، ثم ذكر الله باللسان، "والأعضاء لا تتحرك إلا بإرادة القلب، لكن قد تكون الغفلة غالبة عليه، وذلك

(1) المصدر السابق 27/2.
(2) المصدر السابق، 45/2.

الكلام خير من العدم، والله يحبه ويأمر به"[1].

وكيف يقال مثل هذا الباطل والرسول قد قال للرجل الذى قال له: أوصنى، فإن شرائع الإسلام قد كثرت على: «**لا يزال لسانك رطباً بذكر الله**»[2].

وقال النبى : «**يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم**»[3].

أما قصة من حلق شعر لحيته فداء لذكر المعزى الله مع الغفلة، فيقول عنها شيخ الإسلام ابن تيمية: "فحلق اللحية منهى عنه ومثلةٌ كرهها الله ورسوله، والمعزى... وإن لم يكن معه كمال الحضور فلا يجوز سبه أو ذمه على ما أظهره من ذكر الله، بل يؤمر بما يكمل ذلك من حقائق القلوب

(1) انظر: الاستقامة 16/2، 17.

(2) أخرجه الترمذى فى سننه، كتاب الدعوات، باب فضل الذكر، ح 3375، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وابن ماجة فى سننه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، ح3793، وأحمد فى المسند 188/4، 190 وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى 385/3، وصحيح سنن ابن ماجة 317/2، ح3060.

(3) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** ، ح7405، ومسلم فى صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر و الدعاء، ح2675.

المحمودة"[1].

وبعد أن ساق ابن القيم ـ رحمه الله ـ القصة علق عليها، وتعقبها بقوله: "فانظر إلى هذه الغيرة المحرمة القبيحة، التى تضمنت أنواعاً من المحرمات:

* حلق الشعر عند المصيبة، وقد قال رسول الله : «ليس منا من حلق وسلق وخرق»[2]، أى حلق شعره، ورفع صوته بالندب والنياحة، وخرق ثيابه.

* ومنها: حلق اللحية، وقد أمر رسول الله بإعفائها وتوفيرها.

* ومنها: منع إخوانه من تعزيته، ونيل ثوابها.

* ومنها: كراهته لجريان ذكر الله على ألسنتهم ب الغفلة، وذلك خير بلا شك من ترك ذكره.

... وأما أن يعد ذلك فى مناقبه، وفى الغيرة المحمودة: فسبحانك، هذا بهتان عظيم"[3].

وأضاف محمد حامد الفقى فى تعليقه على كلا م ابن القيم قوله: "ومنها: أن أهله كانوا على

---

(1) الاستقامة، 16/2، 17.
(2) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية، ح104.
(3) مدارج السالكين 45/3، 46.

الجاهلية الجهلاء، وهو دليل على أنه كان مضيعاً ل لأمر بالمعروف والنهى عن المنكر..."[1].

أما قصة الصوفى الذى قال عند سماع المؤذن: "طعنة وسم الموت"، معللا ً بأن المؤذن ذكر اللّه على رأس الغفلة، فيذكر شيخ الإسلام القصة وينقدها بأن المؤذن وإن كان غافلا ً، وليس معه كمال الحضور، فلا يجوز سبُّه وذمُّه على إظهاره ذكر اللّه تعالى، بل يؤمر بما يكمل ذلك من ذكر اللّه جلا وعلا بالقلب، واستدراك ما فاته حين الغفلة، "وكان النبى إذا سمع المؤذن لم يغزو، وإلا أغار[2]، وكثير من المؤذنين لا يكون كامل الحضور، بل المنافقون الذى يظهرون الإيمان بألسنتهم دون قلوبهم يقرون على ذلك فى الظاهر، بأمر اللّه ورسوله، فكيف بالمؤمن؟!"[3].

ثم استدل ابن تيمية ـ رحمه اللّه ـ بقوله : «إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى التأذين أقبل، فإذا ثوب بالصلاة أدبر، فإذا قضى التثويب أقبل، حتى

(1) المصدر السابق 46/3، الحاشية.
(2) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإ غارة على قوم فى دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان، ح382.
(3) انظر: الاستقامة 16/2، 17، 18.

يخطر بين المرء ونفسه، فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يضل الرجل، لم يدر كم صلى»[1].

فإذا كان التأذين يطرد الشيطان، كيف يصلح أن يقال للمؤذن: طعنة وسم الموت لزعم تقصيره بغفلة فى قلبه؟! نعم الأجر ينقص بالغفلة، لكن استحقاق العقوبة نوع آخر، وإذا استحق العقوبة لم يجز أن تكون عقوبته مقابلة لما أظهره من الحسنة [2].

والعجيب أن ذلك الصوفى يمدح ويعد من مناقبه ـ عند الصوفية ـ أنه يقول للمؤذن: طعنة وسم الموت، بينما يقول عند سماع نباح الكلب: لبيك وسعديك!!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إذا كان التأذين يطرد الشيطان، ونباح الكلب يكون عن رؤية الشيطان، فكيف يصلح أن يقال لهذا: طعنة وسم الموت، لأجل تقصير هذا بغفلة فى قلبه، ولهذا: لبيك وسعديك، لكون الكلب يسبح بحمده، فإن

(1) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل التأذين، ح608، وأخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، ح389.
(2) انظر: الاستقامة 18/2، 19.

هذه حجة فاسدة.

وأما نباح الكلب إن كان تسبيحاً، فصوت المؤذن أولى أن يكون تسبيحاً، فبكل حال لا يكون نباح الكلب الذى يقترن به الشيطان أدنى من ذلك: من صوت المؤذن، الذى هو سبب لهروب الشياطين ، فإن ذلك إن كان لدلالته على الربوبية، فصوت المؤذن أكمل، وإن كان لعبادته بما يستحقه الرب من الإلهية، فصوت المؤذن أعظم عبادة من نباح الكلب.

فتسبيح كل شىء بحمده يدخل فى المؤذن بكل حال، أعظم مما يدخل فى الكلب، فكيف يدخل الكلب النابح، ويخرج المؤذن، لنوع من الغفلة؟! فهذا والكلب محرم اقتناؤه إلا لضرورة من صيد أو حرث أو ماشية، ومن اقتنى كلباً بغير هذه الثلاثة نقص كل يوم من عمله قيراط [1].

وتلبية الكلب فى نباحه أمر منكر، لا وجه له أصلا ً، فلا يتبع أحد فى ذلك"[2].

عن رسول الله أنه قال: «**إذا سمعتم نباح**

(1) جاء ذلك فى حديث أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه فإن فى إحدى جناحيه داء وفى الأخرى شفاء، ح3324، 3325.
(2) الاستقامة 19/2، 20.

الكلب، ونهيق الحمر بالليل، فتعوذوا بالله منهن، فإنهن يرين ما لا ترون»[1].

ونقل ابن القيم هذه القصة ـ أعنى قول الصوفى عند سماع المؤذن، وسماع نباح الكلب ـ على سبيل الإنكار والرد، ولذا تعقبها قائلا ً: "فيا لله!! ماذا ترى رسول الله يواجه هذا القائل لو رآه يقول ذلك، أو عمر بن الخطاب، أو من عد ذلك من المناقب والمحاسن؟!"[2].

أما حكاية الصوفى الذى أذن فما انتهى إلى الشهادتين قال: لولا أنك أمرتنى ما ذكرت معك غيرك، فيقول عنها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكرها على سبيل الإنكار: "فإن ذكر هذا فى باب الغيرة منكر من القول وزور، لا يصلح إلا أن نبين أن هذا من الغيرة التى يبغض الله صاحبها، بل الغيرة من الشهادة لرسله بالرسالة من الكفر وشعبه، وهل يكون موحداً شاهداً لله بالإلهية إلا من شهد لرسله بالرسالة، وقد بينا فى غير

---

(1) أخرجه أبو داود فى سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء فى الديك والبهائم، ح5104، وأحمد فى المسند 355/3، 306، والبخارى فى الأدب المفرد، باب نباح الكلب ونهيق الحمار، ح1233، 1234، وصححه الألبانى فى تحقيقه للأدب المفرد، وفى السلسلة الصحيحة، ح1518.

(2) مدارج السالكين 46/3.

موضع من القواعد وغيرها أن كل من لم يشهد برسالة المرسلين فإنه لا يكون إلا مشركاً، يجعل مع الله إلهاً آخر، وأن التوحيد والنبوة متلازمتان، وكل من ذكر الله عنه فى كتابه أنه مشرك فهو مكذب للرسل، ومن أخبر عنه أنه مكذب للرسل فإنه مشرك ، ولا تتم الشهادة لله بالإلهية إلا بالشهادة لعبده بـ الرسالة"[1].

وقريب من هذه الحكاية الصوفية الحكاية الأ خرى التى سبق ذكرها، وهى قول أحدهم: لا إله إلا الله من داخل القلب، محمد رسول الله من القرط.

يقول ابن القيم تعليقاً وإنكاراً على هذا القول: "ونحن نقول: محمد رسول الله من تمام قول لا إله إلا الله، فالكلمتان تخرجان من أصل القلب، من مشكاة واحدة، لا تتم إحداهما إلا بالأخرى"[2].

هذه هى بعض أحوالهم وقصصهم التى يؤكدون بها مذهبهم الصوفى الأول الذى يتضمن الغيرة مما لا يغار الله منه، بل يحبه.

ذكر هذه الحكايات والأقوال وأيدها الصوفى أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى (ت

(1) الاستقامة 20/2، 21.
(2) مدارج السالكين 47/3، وانظر الاستقامة لشيخ الإسلام 21/2، 22.

465هـ) ودافع عنها بقوله: "ومن نظر إلى ظاهر هذا اللفظ توهم أنه استصغر الشرع، ولا كما يخطر بالبال، إذ الأخطار للأغيار، بالإضافة إلى قدر الحق سبحانه متصاغرة فى التحقيق"[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى إنكاره مقالة القشيرى السابقة: "وهذه الحكاية أيضاً من أقبح الكلام وأفحشه، وذكر هذا فى باب الغيرة من أنكر المنكر، فإن هذا الكلام لا يقال إنه استصغار للشرع، بل هو من أكبر شعب النفاق، وأعظم أركان الكفر، وذلك أن الإيمان بالرسل عليهم السلام ليس من باب ذكر الأغيار، بل لا يتم التوحيد لله، والشهادة له بالوحدانية، والإيمان به، إلا بالإيمان بالرسالة، فمن جعل الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله مغايراً للإيمان به، وجعل الإعراض عنه من باب الغيرة المعظمة عند المشايخ، فقد ضل سعيه، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، ومن لم تكن الشهادة بـ الرسالة داخلة فى ضمن قلبه بالشهادة بالألوهية فليس بمؤمن"[2].

ثم استدل - رحمه الله - على قوله بأنه لا يتم التوحيد له إلا بالإيمان بالرسالة بحديث رسول الله

---

(1) الرسالة القشيرية ص259.
(2) الاستقامة 22/2، 23.

: «إنه أوحى إلى أنكم تفتنون فى قبوركم مثل وقريباً من فتنة الدجال: يؤتى الرجل فى قبره، فيقال له: ما علمك بهذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فأما المؤمن أو الموقن فيقول: هذا هو محمد عبد الله ورسوله، جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه، وأما المنافق أو المرتاب فيقول: آه آه، لا أدرى، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته»[1]، نسأل الله الثبات على الحق فى الدنيا والآخرة.

وبعد ذلك قال شيخ الإسلام معقباً على قول القشيرى واعتذاره عن كلام الصوفية: "وأما اعتذار أبى القاسم عنه بأن: الإخطار للأغيار بالإضافة إلى قدر الحق متصاغرة: فعذر باطل، وذلك أن الشاهد للرسول بالرسالة لم يجعله نداً لله، ولا شريكاً له، و لا ظهيراً، حتى يفاضل بينهما.

هذا الكلام يليق بمن يقول: إن الله ثالث ثلاثة، أو يجعل لله شريكاً وولداً، أو بمن يستغيث بمخلوق ويتوكل عليه، أو يعمل له، أو يشتغل به عن الله... فأما الإيمان بالكتاب والرسول، فهذا من

---

(1) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، ح86، وفى مواضع أخرى من الصحيح، وأخرجه مسلم، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبى فى صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، ح905.

تمام الإيمان بالله، وتوحيده لا يتم إلا به، وذكر الله بدون هذا غير نافع أصلا ً، بل هو سعى ضال ، وعمل باطل، لم يتنازع المسلمون فى أن الرجل لو قال أشهد أن لا إله إلا الله، ولم يقر بأن محمداً رسول الله: أنه لم يكن مؤمناً ولا مسلماً، ولا يستحق إلا العذاب"[1].

وهؤلاء الذين يغلون بزعمهم فى توحيد الله تعالى، حتى يعرضون عن ذكر رسول الله ، أو يعرضون عن الكتاب والسنة، ويستخفون بحرمتهما: تجد أحدهم يعظم شيخه ومتبوعه "أكثر مما يعظم الرسول ، وتجدهم يشركون ب الله فى استغاثتهم بغيره، وخوفهم ورجائهم لغيره، ومحبتهم لغيره، فتجد فيهم من أنواع الشرك الجلى والخفى التى نهى الله عنها ورسوله ما الله به عليم، ومع هذا فيعرضون عما هو من تمام التوحيد، زعماً أنهم يحققون التوحيد"[2] نسأل الله أن يثبت قلوبنا على دينه.

ومن غيرة الصوفية فى هذا المذهب الذى يتضمن الغيرة مما لا يغار الله منه: ما ذكره ابن تيمية من أحدهم ذكر له أنه كان يصلى بالليل،

(1) الاستقامة 2/24، 25.
(2) المصدر السابق 2/24.

فقام آخر يصلى، فأخذت المصلى الأول الغيرة من صلاة الآخر، فقال له شيخ الإسلام: "هذا حسد وضيق عطن وظلم، ليس بغيرة، إنما الغيرة إذا انتهكت محارم الله، والله تعالى واسع عليم، يسع عباده الأولين والآخرين، وهو يحب ذلك ويأمر به، ويدعو إليه، فكيف يبغض المؤمن ما يحبه؟!"[1].

ثم قال شيخ الإسلام: "وهذا القدر واقع كثير من أرباب الأحوال، حتى يقتل بعضهم بعضاً، ويعتدى بعضهم على بعض، يؤذى بعضهم بعضاً، ويقولون: هذا غيرة على الحق، وإنما هو تعد لحدوده، وظلم لعباده، وصد عن سبيله، وأصل ذلك من طلب الفساد والعلو فى الأرض، وطلب الانفراد بالتأله، لا لأجل الله، لكن لأجل الاستعلاء فى الأ رض، فهو من الكبر والحسد، من جنس ذنب إبليس وفرعون، وأخى ابن آدم، لا من أعمال عوام الخلق، فضلا ً عن مؤمنهم، فضلا ً عن أولياء الله المتقين.

ولهذا نجد أمثال هؤلاء من أقل الناس غيرة إذا انتهكت محارم الله، ويكون المؤمن منهم فى تعب، والمشركون منهم فى راحة"[2].

(1) المصدر السابق 27/2.
(2) الاستقامة 28/2.

ومما أدخلوه فى الغيرة، وليس منها، ما يرددونه من الدعوة إلى أن يغار على الحق أن يذكره أحد، أو أن ينظر إليه أحد، كما يغار الإنسان على محبوبته، ومن ذلك ما يروونه عن أحدهم أنه قيل لبعضهم: "أتريد أن تراه؟ فقال: لا، قيل: ولم؟ قال: أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلى" وكما قالوا فى المحبة: "المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك" ونحو ذلك [1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر بعض أخبارهم فى ذلك، ومنها ما سبق ذكره: "وهذا أيضاً وجه فاسد جداً، وهو جهل بالله وبما يستحقه، وتشبيه له بالمحبوب من البشر، وظن من هذا القائل أنه إذا رأى الله حصل بذلك نقص فى حق الله أو ضرر عليه، فإن الإنسان إنما يغار على محبوبه مما فيه عليه ضرر، أو على المحب فيه ضرر، فيغار من الشركة لما فيه من الضرر، وقد يغار عليه من نفسه لاستشعاره به أن ذلك نقص، وذلك كله محال فى حق الله.

ومن قال هذا قد يقول: أغار عليه من أن أحبه، ومثلى لا يصلح أن يعبده، وإنما أعبد من يعبده،

(1) انظر: الرسالة القشيرية ص256، 322.

ونحو ذلك مما زينه الشيطان للمشركين وأهل الضلال، وذلك أنهم قد يدخلون فى غيرة الله منعه لمواهبه وعطاياه من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتقربوا إليه بأصناف القربات، كما قد يمنع السيد والمحبوب عبيده ومحبيه ما يستحقونه، وهذا أيضاً جهل بالله وتكذيب بوعده، وتجوير له، وتزكية لنفوسهم، وهو باطل"[1].

المذهب الصوفى الثانى فى الغيرة، ونقده:

المذهب الصوفى الثانى فى الغيرة هو الذى يتضمن ترك الغيرة مما يغار الله تعالى منه، ويحب الغيرة منه، ويأمر بذلك.

يقول أبو القاسم القشيرى الصوفى (ت 465هـ): "ومن الناس من قال: إن الغيرة من صفات أهل البداية، وإن الموحد لا يشهد الغيرة، ولا يتصف بالاختيار، وليس له فيما يجرى فى المملكة تحكم، بل الحق سبحانه أولى بالأشياء فى ما يقضى على ما يقضى"[2].

ثم روى عن أبى عثمان سعيد بن سلام المغربى (ت 373هـ) أنه قال: "الغيرة عمل المريدين، فأما

(1) الاستقامة 63/2، 64.
(2) الرسالة القشيرية ص256.

أهل الحقائق فلا"[1]، وروى عن دلف الشبلى (ت 334هـ) قوله: "الغيرة غيرتان: غيرة البشرية على النفوس، وغيرة الإلهية على القلوب"[2].

وقد نقل هذه الأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية [3]، منكراً لها، وراداً عليها، إذ قال بعد أن ذكرها: "أما نفى الغيرة مطلقاً وجعلها من عمل المريدين، فهذا يضاهى قول من يشهد توحيد الربوبية، وأن الله خالق كل شىء وربه ومليكه، لا يشهد توحيد ا لإلهية، وما يستحقه الرب من عبادته وطاعته، وطاعة رسله، فلا يفرق بين المؤمن والكافر، والأ عمى والبصير، والظلمات والنور، وأهل الجنة وأهل النار.

وهذا من جنس قول المشركين الذى قالوا: **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ** [الأنعام: 148]، فإن المشركين استدلوا بِ القدر على نفى الأمر والنهى، والمحبوب والمكروه، والطاعة والعصية، ومن سلك هذا المسلك فهو فى نوع من الكفر البين"[4].

ثم تعقب قولهم بأن الموحد "لا يتصف بالا

(1) الرسالة القشيرية ص256.
(2) المصدر السابق ص257.
(3) انظر: الاستقامة 29/2.
(4) الاستقامة 29/2، 30.

اختيار، وليس له فى ما يجرى فى المملكة تحكم"، فقال رحمه الله: "وقول القائل: (إن الموحد لا يتصف بالاختيار) كلام مجمل، فإن أراد أنه لا يختار بنفسه ولنفسه، فقد أحسن، وإن أراد به أنه لا يختار ما اختاره الله، وأمر به وأحبه ورضيه، وأمره هو أن يختاره ويريده ويحبه، فهذا كفر وإلحاد، بل المؤمن عليه أن يريد ويختار، ويحب ويرضى، ويطلب ويجتهد فى ما أمر الله به وأحبه ورضيه، وأراده واختاره ديناً وشرعاً.

وكذلك قوله: (ليس له فى ما يجرى فى المملكة تحكم): إن أراد به أنه لا يعارض الله فى أمره ونهيه، فهذا حسن وحق، فإن عليه أن يرضى بما أمر الله به، ويسلم لله، ومن ذلك التسليم لرسوله، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: 36]... وأمثال هذا كثير"[1].

ثم قال رحمه الله: "وقوله: (الموحد لا يشهد

(1) الاستقامة 30/2، 31.

الغيرة ولا يتصف بالاختيار)، فالتوحيد الذى بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، هو أن يعبد الله وحده ، لا شريك له، فهو توحيد الألوهية، وهو مستلزم لتوحيد الربوبية، وهو أن يعبد الحق رب كل شىء، فأما مجرد توحيد الربوبية، وهو شهود ربوبية الحق لكل شىء، فهذا التوحيد كان فى المشركين، كما قال تعالى: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: 106].

وكذلك إن أراد اعترافه بأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وشهوده لفقره وعبوديته، وفقر سائر الكائنات، وأن الله هو رب كل شىء (وعالم) بكل شىء وملكيه، لا يخلق ولا يرزق إلا هو، ولا يعطى ولا يمنع إلا هو، لا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع: مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ [فاطر: 2]، يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ [فاطر: 15]، (فإن) أراد هذا المشهد ، فهذا أيضاً من الإيمان، والدين، فالأول: الإقرار بالأ مر والنهى، واتباع ذلك هو عبادته، وهذا الإقرار ب القضاء والقدر وشهود الافتقار إلى الله هو استعانته.

فإن أراد بقوله: (الموحد لا يشهد الغيرة ولا

يتصف بالاختيار) أنه لا يختار شيئاً أصلا ً، لا مما أمر به ولا مما نهى عنه، فهذا مع بطلانه فى الواقع، وفساده فى العقل، فهو من أعظم المروق من دين الله، إذ عليه أن يريد كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه له، ويحبه له، ويستعين الله على هذه الإرادة، والعمل بها، فإنه لا حول ولا قوة إلا به، كما كان النبى يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**»[1]، وأصل صلاح القلب إرادته ونيته...

وكذلك قوله: (ليس له فى ما يجرى فى المملكة)، إن أراد به أنه لا يغار إذا انتهكت محارم الله، ولا يغضب لله، ولا يأمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر، ولا يجاهد فى سبيل الله، فهذا فاسق مارق، بل كافر، وإن أظهر الإسلام فهو منافق، وإن كان له نصيب من الزهد والعبادة ما كان فيه.

ومعلوم أن المؤمن لا يخلو من ذلك بالكلية، ومن خلا من ذلك بالكلية فهو منافق محض، وكافر صريح، إذ المؤمن لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ولابد أن يتبرأ من الإشراك بالله

(1) أخرجه الترمذى فى سننه، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعى الرحمن، ح2140 وقال: هذا حديث حسن، وأخرجه ابن ماجة، كتاب الدعاء، باب دعاء الرسول ، ح 3834، وأحمد فى المسند 182/4، وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى 444/2، ح2140.

وأعداء الله، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: 4]...

وأيضاً فالقائل لذلك لا يثبت عليه، بل لابد أن يكره أموراً كثيرة مضرة، وكثيراً ما يعتدى فى إنكاره حتى يخرج عن العدل، فهذا خروج عن العقل والدين، وعن الإنسانية بالكلية إذا أخذ على عمومه، وأما إن قيل ذلك فى بعض الأمور، بحيث يترك الكراهة أحياناً لما كرهه الله، والغيرة أحياناً إذا انتهكت محارم الله، فهذا ناقص الإيمان بحسب ذلك"[1].

ثم تعقب بقية كلامه، فقال رحمه الله: "وكذلك قوله: (بل الحق أولى بالأشياء فى ما يقضى على ما يقضى): فيه تقصير فى خلق الرب وأمره، فإن قوله: "أولى" قد يفهم منه أن له شريكاً، بل لا خالق إلا الله، ولا رب غيره: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ

(1) الاستقامة 2/32-36.

مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ [سبأ: 22، 23].

وأما الأمر سبحانه أمر العباد، ونهاهم، فعلى العبد أن يفعل ما أمره به من الغيرة وغيرها، فإذا كان قد أمره بأن يغار لمحارمه إذا انتهكت، وأن ينكر المنكر بما يقدر عليه، من يده ولسانه وقلبه، فلم يفعل، فإنما هو فاسق عن أمر ربه، لا تارك لمشاركته، إذ لا سبيل له إلى الشركة بحال، وهو سبحانه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير.

فالاحتجاج بكونه أولى من العبد بخلقه على ترك ما أمر به من محبوبه ومرضيه، وطاعته وعبادته، فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيه أمران قبيحان: توهم نوع مشاركة من العبد له إذا أطاعه وعبده، وإسقاط ما أمر به وأحبه من الغيرة"[1].

أما قول أبى عثمان المغربى ودلف الشبلى فإن شيخ الإسلام ابن تيمية يحمله على محمل حسن، حيث قال: "وإنما يعنى الغيرة الاصطلاحية التى يسميها هؤلاء المتأخرون غيرة، مثل الغيرة

(1) الاستقامة 37/2، 38.

المتضمنة للمنافسة والحسد، مثل أن يغار أحدهم إذا رأى أحداً سبقه إلى الحق، أو نال منه نصيباً وافراً، ونحو ذلك، فإن هذا كثير جداً فى السالكين"[1]، فهذه هى الغيرة التى تعرض للمريدين، فأما أهل الحقائق، الذين يشهدون أن الله هو المعطى المانع، وأنه لا رب غيره، فإنهم لا يغارون على ما وهبه الله عباده من هباته المستحبة أو المباحة[2].

ولبعض الزهاد، والمتأثرين ببدايات التصوف كلا م كثير فى الغيرة ومفهومها، هو كلام مجمل محتمل، حمله شيخ الإسلام ابن تيمية على محمل حسن، حيث رأى أن مقصودهم بالغيرة بمفهومها ا لاصطلاحى الحادث "ليس هو بالاصطلاح القديم، فإن النبى قد بين أن غيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم عليه، وهذا يشترك فيه السابقون و المقتصدون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثم السابقون بجعل أعمالهم كلها لله، فإذا صانهم عن العمل لغيره، فصارت أعمالهم كلها لله، تركوا المحارم، وأتوا بالواجبات و المستحبات، وقد شبه تنزيههم عن فضول المباح،

---

(1) المصدر السابق 38/2، 39.

(2) انظر: المصدر السابق 39/2.

وعن فعل المكروهات وترك المستحبات غيرة من الحق عليهم، فهذا أمر اصطلاحى، لكن المعنى صحيح موافق للكتاب والسنة"[1].

(1) الاستقامة 2/40-42، وانظر ص43-62.

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم، وبعد:

فقد جلىّ هذا البحث أموراً أهمها:

1- أن معنى الغيرة: الحمية والأنفة المبنية على الصلاح والإصلاح والمنفعة، وتتضمن المقت و السخط والغضب، والمنع، ونحو ذلك.

2- أن صفة الغيرة من الصفات الثابتة لله تعالى ، حيث ورد التصريح بها فى أحاديث صحيحة عديدة.

3- أن صفة الغيرة من صفات الكمال التى نؤمن بلفظها، ومعناها، نفوض كيفيتها إلى اللّه تعالى، إذ كيفيات صفات اللّه تعالى غير معلومة.

4- لعلماء السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ كلام واضح فى تقرير هذه الصفة لله عز وجل، والتأكيد على الإيمان بها وفق ما جاء فى كتاب اللّه تعالى وسنة رسوله .

5- أن الإيمان بصفة الغيرة لله تعالى هو إيمان من غير تعطيل أو تحريف لمعناها، ومن غير تكييف أو تمثيل لها بصفات الخلق.

6- للغيرة بالنسبة للناس أنواع، منها المحمود ومنها المذموم، ومنها ما هو من طباع الناس، ولكل نوع حكم شرعى يخصه.

7- الناس فى موقفهم من الغيرة أنواع، فمنهم من يغار الغيرة الشرعية، ومنهم من لا يغار البتة، ومنهم من يغار غيرة غير موافقة للغيرة الشرعية.

8- المعطلة نفوا صفة الغيرة لله تعالى، وقالوا بأنها مجاز فى حق اللّه عز وجل، وحرفوا معناها، إما ببعض مقتضياتها، أو نحو ذلك من المعانى غير الموافقة للحق.

9- خاض الصوفية فى الغيرة، فغلطوا فيها غلطاً عظيماً، فى كونها صفة لله عز وجل، كما أنهم غلطوا فى معنى صفة الغيرة للعباد أيضاً.

10- المؤمن الحق يغار، والرسول أغير منه، و اللّه جلا وعلا أغير من رسوله ، فدل ذلك على أهمية الغيرة ومكانتها فى حياة العباد.

أسأل الله أن يجعل على خالصاً لوجهه الكريم، موافقاً لشرعه الحكيم، وصلى اللّه على نبينا محمد وآله وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

1- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، ابن فراء، مكتبة دار الإمام الذهبى، الطبعة الأولى 1410هـ.

2- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخارى، تحقيق الألبانى، مكتب المعارف، الرياض، الطبعة ا لأولى 1419هـ.

3- إرواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألبانى، المكتب الإسلا مى، بيروت، الطبعة الأولى 1399هـ.

4- الاستقامة، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، أشرف على طباعته ونشره جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى 1411هـ.

5- الأعلام، خير الدين الزركلى، دار العلم للملا يين، بيروت، ط6، 1976م.

6- بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى، 1415هـ.

7- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار السلام، الرياض، الطبعة الخامسة 1421هـ.

8- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،

شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مطابع المجد التجارية، بدون تاريخ.

9- الحجة فى بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، قوام السنة أبو القاسم الأصبهانى، دار الراية، الطبعة الأولى 1411هـ.

10- حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهانى، دار الكتاب العربى، بيروت، ط3، 1400هـ.

11- ذم التأويل، موفق الدين ابن قدامة المقدسى، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى 1406هـ.

12- الرسالة التدمرية، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، بدون ناشر، ط1، 1405هـ.

13- الرسالة القشيرية فى علم التصوف، أبو القاسم القشيرى، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة ا لأولى 423هـ.

14- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألبانى، المكتب الإسلامى، بيروت، بدون تاريخ.

15- سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة، دار الدعوة، استانبول 1401هـ.

16- سنن أبى داود، أبو داود سليمان بن الأ شعث السجستانى، دار الدعوة، استانبول، 1401هـ.

17- سنن الترمذى (الجامع الصحيح)، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى، دار الدعوة، استانبول 1401هـ.

18- سنن الدارمى، أبو عبد الله محمد الدارمى، حديث أكادمى، باكستان، 1404هـ.

19- سنن النسائى، أحمد بن شعيب النسائى، دار الدعوة، استانبول 1401هـ.

20- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ.

21- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى، عبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1405هـ.

22- صحيح البخارى، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، دار الدعوة، استانبول 1401هـ.

23- صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألبانى، مكتب التربية لدول الخليج العربى، الرياض، الطبعة الثالثة 1408هـ.

24- صحيح سنن الترمذى، محمد ناصر الدين ا لألبانى، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى 1420هـ.

25- صحيح سنن النسائى، محمد ناصر الدين ا لألبانى، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى 1419هـ.

26- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى، دار الدعوة استانبول 1401هـ.

27- صحيح مسلم بشرح النووى، أبو زكريا يحيى بن شرف النووى، نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

28- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأ ولى 1408هـ.

29- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، عبد الرحمن بن إسماعيل الصابونى، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى 1404هـ.

30- فتح البارى شرح صحيح البخارى، ابن حجر العسقلانى، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

31- الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1393هـ.

32- قاعدة فى المحبة، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، المكتب الإسلامى، بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ.

33- القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن عثيمين، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى 1411هـ.

34- لسان العرب المحيط، ابن منظور، دار لسان العرب، بيروت، بدون تاريخ.

35- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

36- مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، اختصره محمد بن الموصلى، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ.

37- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربى، بيروت، بدون تاريخ.

38- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله

النيسابورى الحاكم، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.

39- المسند، أحمد بن حنبل الشيبانى، دار الدعوة، استانبول 1401هـ.

40- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية 1407هـ.

41- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، إحياء التراث العربى، الطبعة الأولى 1422هـ.

42- منهاج السنة النبوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، أشرف على طباعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1411هـ.

43- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، محمد الأمين الشنقيطى، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الرابعة، 1404هـ.

44- النهاية فى غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، دار بن الجوزى، الدمام، الطبعة الأولى 1421هـ.

فهرس الموضوعات

